

قصة قصيرة

تذكرها

إسماعيل علي

ها تذڪر

— لياڪ ڊيسمبر ڊوگا هادمتا —

قصه ل:

اسماعيل علي عبد التواب

پڄاع ڪلام

ها
تذڪر

للمتابعة: دوس على الاسم

Facebook

Instagram

whatsApp

ها
تذكر

مقدمة

ديسمبر شهرُ تفتت الأحلام الورديةً وخاصَّةً تلك التي تسعى لانتقاء حُبِّ،
 ديسمبر خير ساعٍ لهدم بيوت صنعت لاحتواء قلوبٍ مُحبَّة، ديسمبر لا
 يعترف بألوان الدنيا، ديسمبر كافٍ لجعل كل الألوان باهتة وكذلك الوجوه،
 ديسمبر مُتقنٌ وبارع في ابهات الأرواح...
 ديسمبر باثرُ الحُبِّ ومُهلك القلوب المحبَّة.

ذات ليلةٍ من ليالِ ديسمبر الباردة، في منزل بسيط.

يُشعل النيران، فنجان قهوة، وصورة مقلوبة على المنضدة.

مدّ يده والتقط الفنجان..

أخذ الرشفة الأولى

بدى على وجهه كمَدَّ يَمَلُئُ الكون وما يماثله، يبدو أيضًا أنّ تلك القهوة
مراراتها كحياته.

ارتشف الرشفة الثانية

فبدى الشحوبُ على وجهه، وتملئه التجاعيد مع أنه لم يتجاوز الخامسة
والعشرين بعد، تحت عينيه سواد حَالِك، وكأنَّ حروب العالم تجمّعت حول
تلك الأعيُن، كأنَّه يُجارب كل جيوش العالم وحده، ولا يملك سِوَى قلبه، وفي
كل مرّة يُهزم، ويُدهس قلبه...

لقد أتى الليل وسكن على ملامح وجهه، جبال من المتاعب، هذا ما قد
يُطلق عليه شابُّ أصابته الشيخوخه.

رشفة ثالثة

بدأت تخرج منه بعض التأوهات وكأنّ العالم اجتمع على إيدائه...

أخذ يتمسك بقلبه بشدّة، استمر بإحكام قبضته، وكأنّ العالم يريد سلب قلبه منه، مدّ يده والتقط الصورة من على المنضده، ثم نظر للصورة بحرقّة، وظلّ على تلك الحال لثوانٍ، ثم قال بصوت يكاد يُسمع:

— تلهّفت لرؤيتك عيناى، واشتاق قلبي لوجودك، وحنّت أحضاني لك، غلبتني لوعة الاحتياج لوجودك معي، في كل ليلة يقوم صراع بداخلي، ويُهزم قلبي في كل مرة، ما عاد يريدني، ما عاد يريد البقاء بدونك...

تأوّه بصوت عظيم، ثم ترققت عيناه، وقال بصوت احتشد فيه كل بؤس الدنيا:

— "ماتت" .. ماتت من أعطيتها قلبي، ذهبّت وتركتني، تركت جسداً خاويًا، لقد بُتر قلبي بالرحيل، تحطّمت مشاعري بالهجران، ذهبّت فجئة دون وداع...



"قبل عامٍ من الآن"

بالتحديد في ديسمبر الماضي على "الكورنيش".

ها هو واقف، ولكنه يبدو سعيدًا، لم يكن شاحبًا، ولا حتى مهمومًا، لربّما كان أسعد سُكّان الكوكب البائس في تلك الليلة.

بجانبه فتاة تمتلك من الجمال ما يُماثل كل نساء الدنيا مجتمعين، ولكن بحجاب...

"فتاة شقراء، ذات عينان ذرقاواتان كسماء الصيف، ويلمعان كمطر الشتاء، ولو استطعت رؤية شعرها لرأيت أنه بُني اللون، معتدلة في طول قامتها، تملأ البرائة وجهها المحمّر من كثرة خجلها، لقد كسى الخجل وجهها؛ فطلّت ناظرةً إلى كفيها، وتزداد وجنتيها احمرارًا؛ لتزيدها جمالًا على جمالها، تُرسم على وجهها ابتسامة خافتة تكاد تُبديها على استحياء.

أما هو فينظر إليها بعينيه البنيّتين، وتُرسَم على وجهه ابتسامة رقيقة، ويزيد المشهد روعة "العَوّاد" وهو يعزف للعظيمة الراحله

"أم كلثوم" ... "ألف ليله وليله" وبالتحديد الكوبليه العظيم

"أوصفلك يا حبيبي إزاي قبل ما أحبك كنت إزاي يا حبيبي"

وحقًا لم تُفارق الابتسامة وجه كليهما، وكأنَّ كلاً منهما يستمدُّ سعادته من وجود الآخر.

كان القمر مُبهجًا، في سماءٍ سعيدة مليئةً بهريق النجوم اللامعة، وتتلاطم أمواج البحر وكأنها مسرورة لرؤيتهما...

ضوء القمر ينير لهما بدى وكأنه يريد أن يسترق السمع لما يقولان، ونسمات الهواء تتحلّل بينهما وكأنها تُعانقهما بلُطفٍ تام.

نظر لعينيها وقال بابتسامة:

_أحبك وسأظلُّ أحبُّك حتى تتوقّف السماء على أن تُضئَ.

هي لم يسع العالم سرور فؤادها، وازداد احمرار وجنتيها، كانت ابتسامتها كافية
لثُنسي حزن قرونٍ مَضَتْ.

رفعت وجهها ونظرت إليه بابتسامتها التي تُذيب القلوب، وقالت:

_وأنا أحبُّك وسأظلُّ معك.

أمسك بيدها على استحياءٍ، وظلَّ ناظرًا هائمًا في عينيها لثوانٍ، كان بصدد
قول شيءٍ ما، إلا أنها قالت:

_سنظلُّ معًا للنهاية، سنُحاول حتى تُشرق شمسنا سويًّا...

أحكمت في قبض يديه وقالت: _أعدني؟

فأخرج يمينه من قبضتها، وربّت على يُمناها، وقال بابتسامته:

_أعدك.

ثم لوهلة شاء القدر إفساد قلب أحدهم، وتحويل وميض دنياه إلى سواد حالك.

لحظة دخول المشفى حدث حادث سيارة على الطريق، ارتطمت بكليهما نتيجة لسباق بين شابين لا يقلُّ أحدهما سفاهةً عن الآخر...

الآن يفيق ويسأل:

— أين حبيبتي؟ ماذا حدث؟

ترد المريضة:

— صبراً حالتك لم تتحسن بعد، تحتاج للراحة

فكرر سؤاله

فرد الطبيب:

— إهدء يا سيدي فحالتك سيئة، وفي حاجة للراحة

ولم يأخذ سوى بضع ثوانٍ إلا وكرر نفس السؤال، ولكن بعصبية كبيرة.

فتنهّد الطيب تنهيدة طويلة، وأردف:

— أنت هنا منذ ما يقرب لأسبوع، وعندما جُلبتما إلى هنا كنتما في حالٍ يُرثى لها، ولكن هي كانت أسوء منك حالاً، لقد أُصِبت بكسور عديدة، وجروح كثيرة مما جعل جسدها ينزف كثيراً...

بدأت عيناهُ في الترقق، وانقبض قلبه وكأنه يعلم الجمل الآتية قبل أن تُنطق
يُكمل الطيب بنبرته الحزينة:

— لم يتحمّل جسدها كل ذلك الألم، حاولنا أن نُساعدَها، ولكن شاء ربك أن تذهب إليه.. سيدي من كانت معك لقد ماتت، وقبل مماتها تركت لك كلمات وكانت تلك آخر كلماتها، قالت:

{ أخبروه أني أحبه، أخبروه أنّ عهدنا لم يُنقد، وأني تمنّيت أن تُضئ شمسنا
سويّاً، ولكن سرعان ما غابت شمسي }



في منزله

على نفس حاله، لا تُفارق الدموع عيناه نظرًا للسماء، وقال:

يا الله لم تركتني أتعدّب في تلك الأرض، لم أخذت من تملّكت روعي،
وتركتني هنا بدونها أعاقب، لا أريد العالم بدونها خذني إليها إجمع فؤادي بها،
فأنا من دون قلبها لا شيء.

ثم خرّ واقعًا.



__أين أنا؟.. ما هذا المكان وما كل هذا الضوء! ولم أشعر بكل تلك الراحة والانتماء لهذا المكان هل مت!

كانت تلك الكلمات تدور بعقله حينما أفاق ورأى نفسه في مكان غريب لا يوجد به شيء فقط ضوء أبيض لا نهاية له، قبل أن يهَمَّ بالنظر أمامه ليذهل مما رأت عيناه،

أُيعقل أن تكون هي! ولكن كيف لقد ماتت منذ سنة كاملة، مُحال أن تكون هي كاد التفكير أن يُفجّر رأسه لولا نطقها بحروف أخذت بركانه رأسه...

__اشتقت إليك يا "أمير"

كانت تلك الجملة منها والتي كانت تبدو كالحوريات في جمالها، أما هو فعجز لسانه عن النطق لبضع دقائق من شدة ذهوله، ثم قال بتلعثم:

__ك.. كيف.. كيف ذلك! أألزمت حية، ألم تفارقيني ماذا يحدث؟، وما هذا المكان؟ أين نحن، هل أنا ميت؟ أتلك الجنة؟

ما كان منها سوى تجاهل كل تلك التساؤلات، وقامت باحتضانه بشدة وكأنّ طفلاً يتشبّهتُ بأمه، وقالت:

__اشتقت لك ولكل تفاصيلك، اشتقت للحديث معك، ولسماع صوتك، لقد اشتقت لحُبك، ولكلماتك التي تملئ قلبي فرحًا..

فقال: أنا أحبك، ولازلت، وسأبقى حتى موتي أحبك، أنا أتعذب من لحظة فراقك، مضى عام وأنا أتألم في كل ثانية فيه، مضى عام وأنا أئن في كل ليلة، فقلبي صار كطفلٍ إن ابتعدتني عنه شبرًا بكى، وكلما زاد ابتعادك ازداد نحيبه..

قالت وهي تتمسّك به أكثر وتُريح رأسها على كتفه

__ أنا بقربك دائمًا لم أهجرك، قلبي بقرب قلبك دائمًا، أذوق أضعاف عذابك، وكلّما سمعت نحيبك انفطر قلبي من الأسى عليك...

__ لن نتعد ثانية يا "هدى" سنبقى معًا حتى نهاية الدنيا

جذبها إليه واحتضنها بشوق يماثل كل تلك الليالي مجتمعة، واستمر في ضمها، وكأنه قد وجد قلبه الذي كان قد بُتر منه.

قالت وهي لازالت على حالها "رأسها فوق كتفه"

— نحن لم نبتعد يا "أمير"؛ فالقلوب لا تهجر القلوب مهما أبعدت الأيام بين
الأجساد، قلوبنا على عهدنا ما دامت الدنيا...

سقطت دمعة من عينها وبدى على وجهها الكمد فجأة، ثم أحكمت يديها
حوله وكأنها تؤدّ أن تسكن بداخله، واستمرت دموعها في التساقط، وبدء
نحيبها يعلوا

مما لفت انتباهه فخرج من حضنها، ونظر إليها متعجبًا وقال:

— لم البكاء؟

لم تردّ، وبادرت بالالتفات عنه والدموع تنزف من عينيها، كانت على وشك
الذهاب إلا أنه قد أمسك بيدها وقال بنبرة رجاء:

— لا تتركيني ثانية أرجوك إبقِ معي

فنظرت إليه في صمت والدموع تملئ وجهها، ورثت على كفه الأيمن، وقالت
بنبرة حزينة:

تذكّرها

إسماعيل علي

يألت للإنسان ما يُحِب.

وبدء جسدها يتلاشا.



"أمير" مُلقًا على الأرض كما كان، فتح عينيه وظلَّ يُنادي "هدى" مرارًا بين
تأوهاتِه ثم أمسك برأسه، وقال:

إلى أين ذهبتِ؟

بدءً يتلقَّت حوله بلهفة ليتيقَّن من عدم وجودها، فبدى على وجهه الحزن
وقال:

لقد كان حُلْمًا.

ثم قام، وذهب إلى الحمام، وقف أمام المرآة، ونظر فيها قليلا ثم قال:

لقد غَمَرَ الشحوبُ وجهي العبوس.

ثم همَّ بخلع ملابسه ليستحم.

"في الشارع"

يسير في ليل شتاء ديسمبر وحيداً دونَ ونيس ولا رفيق، صامت خارجياً ولكن
بداخله فوضى عارمة، قد تراه هادئاً ولكن الأفكار تُقهقر وجدانه وتَعقد عُقدًا
لا مُتأهية بعقله.

ذاك نفس المكان حدث فيه الحادث منذ سنة، وتلك ليلة مشاهمة، لقد
انقلبت دنياه رأسًا على عقب، تحوّل ضحكه لبكاءٍ، وابتسامته لنحيب،
وونسه لوحدةٍ، هنا انفطر قلبه وذاك اليوم سبب هلاك دنياه...

كان البحر هادئًا على غير عادته، خاصتًا تلك الأيام، من فوقه سماء باهتة،
يتوسطها قمر مقفهرٌ، وتحول بريق النجوم إلى بريق دموع عيناه الذابلتان.

وقف جانبًا، وبقي هادئًا لعدة دقائق، ثم نظر أمامه فوجد إحداهن تقف على
الجهة المقابلة، وتكاد تطابق ملاحظتها التي كاد يراها ملامح "هدى" مما أثار
ذهوله وقال بتعجُّب:

— ما هذا الازلت في ذاك الحلم، أم أن تلك فقط تشبهها.

في مَنْ تفكر وعلى من تبحث؟

نظر إلى يساره ليجد "هدى" تقف بجانبه، وقد قطعت تفكيره وكلامات عقله بتلك الجملة؛ مما جعل حدقتا عينيه تتسع، وتنتابه الحيرة وبقي صامتاً.

فتقطع هي الصمت بقولها:

عن من تبحث؟

فردّ: لآزت أبحث عنك ولا أعلم لِمَ

ولِمَ لَمَ تجدني بعد؟

لإنك ما عدت موجودة لقد ذهبت

أتعلم لِمَ لَمَ تجدني بعد؟

أمسكت بيمناه بكلتا يديها وأردفت:

لإنك تبحث في المكان الخطأ

نقلتُ يُمنّاها إلى صدره بلطفٍ، وقالت:

_ أنت لم تبحث هنا.

ألم أخبرك قبلاً أنني بداخلك لِمَ إذاً تبحث بالخارج

"ما خلقت للفؤاد لن يفارقه"

_ ولكنني أحتاجك هنا، أريدك أمامي أريد أن ألمسك، أن أشعر بوجودك أنا

أريدك أنتِ، ولكن كيف... كيف لإنسان فنت أجزاء روحه أن يحصل على

من فني جسده! لقد انتظرت لثمان سنوات لأعترف بحبي لك، وفي اليوم

الذي أبحث فيه عنه كان آخر لقاء، ثمان سنوات أتمنّاك وبضع ثوانٍ فتتوا

التّمني، يا ليتني ما تجرّأت في تلك الليلة، عشت لسنوات جباناً فياليتني

أكملت حُبني... لم لا تردين؟

نظر بجانبه فلم يجدها، فتنهّد وقال:

_ لقد صرت أهذي، وأحدّث نفسي يجب أن أعود إلى المنزل

ثم همّ بالمشي، ولكن سقطت عيناه على الفتاة التي تشبه "هدى" فوجد أنها لازالت واقفتًا أمام النهر فهزّ رأسه وبدأ بالسير نحو منزله.

بعد أن خطى بضع خطوات سمع صوت شيء قد ألقى في الماء فنظر خلفه فلم يجد الفتاة، فأيقن أنها قد ألقّت بنفسها، فذهب مهرولاً، وقفز في الماء لينقذها، وقد فعل ذلك بصعوبة؛ لعدم إتقانه السباحة جيداً.

بعد أن قام بإنقاذها جلسا على الأرض ليلتقطا أنفاسهما..

ولكنّ الفتاة كانت تتنفس بصعوبة، تأخذ كل شهيق وزفير وكأنّها تسرقه خلسة من الدنيا، بدأت تنوح بصوت عالٍ مما أثار انتباهه فالتفت إليها وقال بصوت محشن:

— لم فعلتي ذلك أتريدين أن تموت!

ثم سعل لثوانٍ وأردف:

— أنتِ لازلتِ صغيرة ما دعاكِ لذلك.

فردت عليه بنبرة حزينة كما قلبها وهي جالسة وتدفن رأسها بين ذراعيها،
وتثني ركبتيها لأعلى:

— لم أعدتني للموت مرة أخرى؟

احتلّت علامات التعجّب عقله مما سمع وقال:

— أعدتكِ للموت! لقد أنقذتكِ من الموت تَوًّا، لقد كدتِ تموتين منذ
دقائق...

— لقد أخرجتني من مَوْتة واحدة، وأعدتني لأموت كل يوم

أخشن صوته أكثر وقال:

— ماذا تقولين؟ أيُّ موت ذاك الذي يأتي كل يوم، وأين عقلك كيف فعلتِ
ذلك.. أتريدين الموت منحرّتًا؟

أخرجت رأسها ونظرت إليه وقالت:

— أنت لا تعلم شيئًا..

هو تاه في وجهها المغمور بالدموع وملاحظها التي تكاد تطابق "هدى" وقال
بصوت خافت:

_"هدى"

وهي تُكمل، والدموع تغمر وجهها:

_أنا أموت في كل يوم، أنت لا تعلم شيئًا...

لا زال علي حاله ويقول بصوته الخافت:

_حتي احمرار وجهك يشبها، وتلك العيون عيونها لقد أخذتي ملامح "هدى"
بأكملها...

أفاقته نبرة صوتها، والتي سرعان ما عادت للبكاء، فأمسك بيديها ورثت عليها
ليُطمئنها وقال:

_لا تقلقي كل شيء علي ما يرام اهدئي، لا تبكي هيا بنا سأوصلك إلى
منزلك لنتمشى سوياً.

فقاما سوياً وبادروا بالمشي، وبدء يتحدث معها لئلهيها عن ما بداخلها وقد
 نجح في ذلك نسبياً، وقد بدءا في تبادل الاسئلة ليتناسيا طول الطريق، وقد
 تغاضى عن أن يسألها عن سبب ما فعلت عمداً حتى لا تعود للبكاء ثانيةً،
 والغريب أنه قد عاد اليوم مبتسماً، عاد يضحك بعد ما كانت قد انعدمت
 ضحكاته منذ تلك الليلة المشئومة.

كانا يتبادلان الحوار طوال الطريق فسألها عن اسمها فقالت:

— نور اسمي نور

وبادالته نفس السؤال فأجابها بابتسامة:

— اسمي أمير

فابتسمت له بدورها وأكملت سيرهما، استمرا على ذلك الحال حتى سألته هي:

— ألم تحب قبلاً؟

فبدء يتلعثم قليلاً، ثم قال:

— الأزال الطريق طويلاً؟

— اقتربنا كثيراً إنه ذلك المنزل...

وأشارت بيدها إلى منزل بسيط

— حسناً سأعود أنا إلى اللقاء...

والتفت عنها سريعاً، كان علي وشك الذهاب إلا أنها أمسكت بيده

وقالت:

— أيمكنني أن أراك مجدداً؟

فأجاب بسرعة:

— أنا أتواجد عند المكان الذي رأيتني فيه كثيرة قد نتلاقا..

وذهب عنها سريعاً مُتجهاً إلى منزله.

— في منزله يجلس على سريره ويتذكر "نور" وما حدث فابتسم وتنهد تنهيدة

طويلة تدل على راحةٍ غمرت قلبه.

أراك عُدت مبتسمًا أنا سعيدة لذلك

كانت "هدى" وكانت قد احتضنته من ظهره وأسندت رأسها على كتفه الأيسر.

فقال وقد نظر إليها:

_"هدى"...

فقاطعته بقولها:

_"هل مال لها قلبك؟"

فردَّ وقد احمرَّ وجهه:

_"أنا أحبك أنتِ وكما قلتِ " ما خلقت للفؤاد لن يفارقه " ، وكفاني حُزنًا لقد تشبّع قلبي من الحزن عليكِ أنا لن أنساكِ ولن أسهى عن حبكِ."

_"ومن قال أنكِ بجبها ستنساني، أنا ساكنة بداخلكِ، ولكني أراها قد سكنت بجانبي سريعًا..."

ثم رنّنت على صدره وأردفت:

_"قد يكون الفؤاد ميّالاً لكنّه لا يكذب"

واختفت بعد تلك الكلمات، والتي ظلت تتكرر في عقله كثيراً حتى خلد للنوم.



لم يستطع "أمير" التغلّب على رغبة قلبه الملحّة لرؤية "نور"، فكثرت مقابلاتهما ولكن لم تطُل فقد كان يراها لوقت قصير ويذهب.

في إحدى المقابلات يجلسان سوياً، وبعد حوار قصير نظر إليها وقال:

— "نور" لم حاولتي الانتحار في ذاك السوم؟ وما الذي لا أفهمه؟..

تنهّدت "نور" تنهيدة طويلة، ونظرت إلى كفيها الذان كانت تفركهما ببعضها طوال الوقت؛ لشدة توترها، ظلّت هكذا لثونين، ثم تنهّدت تنهيدة أطول من سابقتها، ورفعت رأسها، وركّزت عينيها اللوات يشبهن السماء في صفائها، وقالت بنبرة تُخفي خلفها بُكاءً شديداً:

— أمير أنا.... أنا مريضة سرطان.. علمت بابتلائي به منذ أشهر، وحال أسرتي مُعسر ولن يقدرُوا على تكفّل مصاريف علاجي...

بدأت أنفاسها تتسارع، وأردفت:

بدأت حالنا تسوء شيئاً فشيئاً، وعُسرَتنا تتزايد أضعافاً؛ فنحن لا نملك من المال إلا ما يكفي لإطعامنا، ولكنهم رجّحوا علاجي على الطعام، أنا لم أتحمل عنائهم لأجلي، وصرت أشعر بأني عبأ عليهم، وصرت أشعر بالذنب، وأني السبب في حالهم ذاك، فقررت أن أريحهم من همّي...

غطت وجهها بكفيها وبدأت تبكي، بصوت ظل يعلوا سريعاً.

تساقطت من عينيه بعض الدموع؛ ولكنه مسحها وابتسم ودنى منها وجذبها إليه واحتضنها، وظلّ يُرَبِّت على ظهرها، وقال بصوت مطمئن:

سيكون كل شيء بخير لا تخافي أنا بجانبك، سيُمّر كل ذلك بسلام، إن الله قادر على أن يجعل كل مُرٍّ يُمُرّ...

أحكمت "نور" قبضتها حول "أمير"، وأسندت رأسها على كتفه، ثم أكثرت من دنوّ فمها من أذنه وقالت:

أنا أشعر باطمئنانٍ كبير بجانبك، لقد أصبحت مصدر اطمئناني في هذا العالم يا "أمير"

فابتسم ورّيت علي ظهرها برفق، وثبّت عينيه في الفراغ وسهى قليلا وكأنه يتذكر شيئاً ما.



في المنزل "أمير" في غرفته أمام مرآته يخلق ذقنه التي قد صارت كثيفة. بعد أن انتهى قام بغسل وجهه، ثم جاء بالمنشفة؛ ليُجفف وجهه...
 _أنا سعيدة الآن لقد رأيتك أخيراً عُدت تبتسم، أطع قلبك يا "أمير"...
 أزاح المنشفة عن وجهه؛ لينظر إلى "هدى" لأنه قد سمعها تقول تلك الكلمات، ولكنه لم يجدها، قتنهّد وذهب إلى سريره لينام.

في مقابلة أخرى يجلسان سوياً كعادتهما، نظرت "نور" إليه نظرة خاجلةً
وقالت:

— "أمير" أنا أحبك

ثم تنهّدت وبدأت تفرك كفيها وأردفت:

— لقد حاولت مراراً إخفاء حبيّ لك، حاولت إخفاء نظراتي إليك، وصد قلبي
عن حبك، ولكنني اكتشفت "أن إخفاء الحب أصعب من إخفاء بحيرة في
قنينة" .. أنا أحبك

نظر "أمير" إليها وتنهّد وقال:

— أنا لا أصلح للحب مجددًا، وكيف أحب بقلب قد بُتر! أنا محطّم وخاوٍ لا
أصلح لأحد.

— وأنا أريدك كمان أنت، سنبقى سوياً وس.....

قاطعها بصوته العالي:

أنتِ لا تعلمين شيئاً، أتذكرين حينما سألتني عن إن كنت قد أحببت من قبل؟!.. لقد أحببت مرة، أوّل حب، أوّل من سكنت قلبي، ونتيجة لذلك صار حالي هكذا بائس لا يصلح للبشر، لا أعلم لمَ تقرّبت منك لهذا الحدّ رغم خوفي، عندما أخبرتني بأني مصدر اطمئنانك انقبض قلبي وعدت أتذكر حالي، وعاد لي الماضي يطعن ما تبقى من فؤادي حيّاً بسكين حزنه، كيف.. كيف لقلبٍ خائف أن يكون مصدر اطمئنان لآخر!.. كيف لشخص قد لا يبتسم أن يهتمّ بابتسامة الآخر.. كيف لفاقد شيء أن يبادر ويحاول إعطائه... ولم ذلك العالم يسعى فقط لإطفاء قلوبٍ قد أضاعت بالحب!

صمت لثوانٍ، ومسح ما تساقط منه من أدمع، وتنهدت تنهيدة طويلة، نظر لـ"نور"، وبدء في سرد قصته مع "هدى" حتى موتها وبعد انتهائه وقف، ولم ينتظر أن يستمع لأي حروف قد تُقال، وربّت على كتفها الأيسر بيُمناه وقال:

- سأذهب وداعاً.

ظل "أمير" في منزله قرابة الشهر لا يرى "نور" ولا حتى عادت تأتيه "هدى"، حتى أتته رسالة في بريديه، ففتحها وبدء بالقراءة...

"أمير أنا نور كيف حالك، إن كنت تقرأ رسالتي الآن فأعلم أنني لازلت أحبك، وما أظن أن قلبي سيستطيع نسيانك.

بعد أن ذهبت في ذلك اليوم وتركتني عدت لمنزلي، وكنت أبكي حتى نمت، ولكن جاءت إحداهن لي في منامي وكانت تشبهني، كانت مبتسماً، وأمسكت بيدي، وقالت لي:

—أريد منك الاعتناء بأمير

ثم أفلتت يدي وذهبت فوجدتُ في يدي قصاصة ورق مكتوب فيها..

"ما خلقت للفؤاد لن يفارقه.. فاجعل الفؤاد مبهجاً حتي يبهج ساكنه

وما اعتدنا من الفؤاد كذبا.. فوربي إن الفؤاد دوما صادق.

فيا من أمرت بالحب أحب.. فإن المحب للمحب راضي"

وعندما استيقظت لم أفهم شيئاً ولكنّي كتبت الحلم، وتلك الكلمات في ورقة، ومعنى أنك تقرأ رسالتي الآن أي في المشفى أجل في المشفى فأنا لم أخبرك أي كنت مبادرة على استئصال ذاك السرطان، لقد تبرعت إحدى الجمعيات الخيرية لي بتلك العملية، يُقال أنها عملية صعبة قد لا أنجوا منها، ولكن لي منك رجاء أريدك أن تأتي وتمسك بيدي فإن مت سأكون مطمئنة بين يديك.. سأترك لك العنوان في ظهر الرسالة وداعاً."

امتلى وجه أمير بالدموع وهو يقرأ الرسالة وبادر مُسرّعاً إلى المشفى، ظل يبحث حتى وصل إلى غرفتها، ووقف أمام سريرها، وأمسك بيئمنها بكلتا يديه وقال:

لقد جاءت يا "نور" أنا أتأسّف على ما بدر مني مُسبقاً لقد أخبرتك بأني لا أحبك، لقد كذبت ففي الحقيقة أنا أعشقتك وقلبي يتلهّف لرؤيتك في كل حين.. أتذكرين حين أنقذتك من الغرق؟

أنا لم أنقذك فقط بل أنقذت روحي بك.. أرجوك لا تتروكيني.

ظلّ يدعو الله أن يبقّيها له مرارًا...

ثم دخل الطيب بعد دقائق، فترجّل واقفًا "أمير" وسأله:

متى ستكون عملية الاستئصال؟

فردّ عليه الطيب متعجّبًا:

ـ لقد أجرينا العملية منذُ ساعات، ومنتظر فقط إفاقتها.

ثم ذهب الطيب خارجًا...

جلس "أمير" على كرسيّ بجوار سريرها، وبعد بضع دقائق سمع صوت همهمة

فنظر ناحية "نور" فوجدها تفيق فقال بلهفة:

ـ نور...

فنظرت إليه وأسندت رأسها على يديه وقالت:

ـ أحبك يا أمير.

ابتسم أمير حين رآها أخيراً قد استيقظت، كانت رؤيتها بمثابة إعادة الروح لجسده الخاوي... نظر إليها وتنهّد وقال:

— نور أنا أعلم أنّ الوقت قد لا يكون مناسباً، ولكني يجب أن أخبرك بشيء
أومأت له برأسها

فسرد لها قصته مع "هدى" مرة أخرى ولكن تلك المرة كاملة، وأخبرها أنّ
"هدى" تأتيه دوماً وهي من جئاتها في حلمها، كيف؟ لا يعلم ولكنّه
يحدث.....

انتهى من سرد قصته وهي لم تُرح عينها الذابلتان عنه، وأمسك بيمنها
وأردف:

— وهي من أخبرتني بأن أُسلم لقرار قلبي بحبك، أنا أعلم أنّ الأمر لا يُصدّق
ولكن هذا ما حدث.

رَبَّتْ بيدها على يده وابتسمت له وقالت:

— أصدّقك

ابتسم لها وقال:

أتزوجين بي؟

ابتسمت ابتسامة كبيرة يتخللها خجلٌ كبيرٌ وأومات له مرارًا...



هدى اقتربي يا حبيبتى لنلتقط الصورة

قال "أمير" تلك الجملة فأسرعت إليه فتاة شقراء في الخامسة من عمرها هي ابنته هو و"نور" فقد مضى على زواجهما سبع سنوات الآن...

وقف هو في المنتصف وعلى يساره "نور" وابنتهما تقف بينها ولكن متقدمة قليلاً وتركوا يُمنّاه خالية.

ألتقطت الصورة وبها الجميع مبتسمون وظهرت بها "هدى" على يمينه وكأنّه قد ترك لها يُمنّاه خالية عمداً

ظهرت وهي تحتضنه من جنبه وتسند رأسها على كتفه.

بعد التقاط الصورة نظر لها وابتسم وقال:

ما خُلقَ للفؤاد لن يُفارقه.

"لعلّ ديسمبر باتر الأحلام وبارع في ابهات الأرواح ومهلك القلوب
المحيبة ولكنه قد يكون أيضا منزل غيث حُبّ جديد"

قُلْ لقلبك دائما "تذكّرها"

تمت